

رئيس التحرير المسؤول
العهد منير عقيقي

ما نحتاج إليه ونفتقده... المسؤولية

دون الاخذ في الاعتبار ان السياسة ومعها المسؤولية هما منظومة ذات قيمة اخلاقية، هدفها الانبل بناء دولة ناجحة بكل المعايير.

كل الدول من دون استثناء، حتى المتقدمة منها، يغزوها الفساد، لكن معدلاته محدودة وتختلف نسبة وجوده من بلد الى آخر. متى تم الكشف عنها، يُصار الى اتخاذ اجراءات جذرية تصوّب المسار. بل اكثر من ذلك، يبادر المجتمع والدولة الى رفع معدلات الشفافية ومعايير تولي المسؤولية منعا للتكرار، وللحيلولة دون تعطيل مسار الدولة.

لكن عندنا يحصل العكس من ذلك، اذ يسود منطق تبرير الفساد. ما كنا وصلنا الى ما وصلنا اليه لو ان مباشرة المسؤولية كانت تتم على قاعدة العمل وفقا لمنظومة القيم الجماعية، وبهدف توكيد منطق الدولة وليس الاستحواذ على الموارد والمقدرات لتأييد المسؤولية، وتوسل المنصب حفاظا على الوجة المجتمعية.

المطلوب الآن للانقاذ، واكثر من اي وقت مضى، هو الشجاعة في مكاشفة ذواتنا لأن ما زرعناه نحصد. فقد تبدى الواقع اللبناني العام على صورة قبيحة جدا. اهم ما تكشف ان المسؤولية ميدان من ميادين السعي الى ارضاء حب الظهور، ومن دون ان يكون لها صلات وصل بالاخلاق وبالانسانية. لو كانت الامور غير ذلك فلماذا ضرب الجوع والعوز خبط عشواء باللبنانيين كلهم؟ وكيف انهارت الطبقة الوسطى وهي صمام امان اجتماعي اساسي؟ مع الانهيار صار عندنا طبقة جديدة اسمها في علم الاجتماع "حديثو الفقر". الطبقة هذه، المتشكلة حديثا، تُشكل مؤشرا نوعيا لما نحن ذاهبون اليه. فهي كونها تمتلك المعرفة والعلاقات قادرة على سد الثغر في الحراك الاجتماعي المنتفض عن حق للمطالبة بحقه الانساني الذي لم توفره وتنجح في تأمينه "المسؤولية".

قبل في تعريف المسؤولية انها "حالة يكون فيها الانسان صالحا للمؤاخذة على اعماله وملزما تبعاتها المختلفة". اكثر ما افتقده اللبنانيون في "ايلول الكارثي" الذي انتهى اليه لبنان على كل المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والصحية والبيئية والمالية، هو معاينة "حاجتنا" جميعا الى اكتشاف ما لم نفعله ولا يزال يبقينا في القعر الذي يزداد عمقا. الاكثر اهمية في هذا المجال معاينة السياسة بمعناها العريض والواسع لينتظم وراءها كل ما هو مطلبي وتقني. فالوضع الانحداري الذي بلغناه ولم ينج منه احد، لا جماعة ولا افراد، يفترض اول ما يفترض تعيين "معنى المسؤولية". السؤال هنا: هل المسؤولية دور ام وظيفة؟ واجب او منصب وجاهة؟

ضرورة السؤال تأتي من امرين:

الاول: لماذا حصل ما حصل؟

اما الثاني فيكمن في معرفة نتائج المسؤولية عندما تتراوح بين حدّي المسؤولية امام الناس وبين المسؤولية عنهم. قد يقول قائل "كما انتم يولى عليكم". في هذا كثير من الصحة والصواب. لكنه يعكس في المقابل سوء اداء المسؤول. فالمسؤولية بالتعريف هي العمل من اجل الناس كمواطنين يعيشون في دولة. بالتالي فالعلاقة بين المواطن والدولة هي علاقة متكاملة لبناء استقرار سياسي تدرج تحته عوامل الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والمعيشي والصحي. لكن ما نزل بلبنان واللبنانيين يقول العكس من ذلك تماما.

المفارقة في الوضع اللبناني ان المسؤولية وممارستها تأتيان من خلفية غرائزية تجمع بين "وجهة المنصب"، وبين ارضاء جماعة بعينها. وهي بهذا المعنى تأتي من دون صلات انسانية واخلاقية. قبل هذا وبعده تأتي المسؤولية من دون صلات سياسية بوصف السياسة هي النشاط الانساني الانبل، على ما يعرفها ارسطو. ولو كان الامر عكس ذلك لما كنا جميعا في قلب المعاناة وعلى كل المستويات. اسوأ ما في المسؤولية، هو عندما تكون "آلية للاستحواذ"، بهدف الارضاء النفعي والمصلحي، من

إلى العدد المقبل